عبدالجواد طايل

هذا هو القمر

شعر

الناشر
الدار المصرية اللبنانية



هذا هو القمر

الناشر : **الدار المصرية اللبنانية**
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع: ١٣٥٤٦ / ١٩٩٩
الترقيم الدولى: 6- 551 - 270 - 977
تجهيزات فنية: **آر ـ تك**
العنوان: ٤ ش بنى كعب ـ متفرع من السودان
تليفون: ٣١٤٣٦٣٢
طبع: **آمون**
العنوان: ٤ فيروز – متفرع من إسماعيل أباظة
تليفون: ٣٥٤٤٣٥٦ – ٣٥٤٤٥١٧

الطبعة الأولى : جماد ثانى ١٤٢٠ هـ ـ سبتمبر ١٩٩٩م
الأخراج الفنى: **سناء الحمد بدوى**
تصميم الغلاف والرسوم الداخلية الفنان : **فرج حسن**

بسم الله الرحمن الرحيم



إهداء

إلـى عيـنـيَّ

اللتـين أستشـرف بهـمـا

أحـلامَ الغـدِ

وآفـاقَ المستقبـل

بـاسـل .. وريـم

عبد الجواد طايل



مقدمة

كنت أوثـر ألا أُقَـدِّمَ مجمـوعـتى الشـعرية الجـديـدة (هذا هو القمر) بأية كلمات نثرية .. فالشعر خير من ينوب عن أية مقدمات ، حبذا إذا كان صاحبه شاعرًا أصيلاً .. مطبوعًا .. وليس هذا تقريظًا أو مديحًا فى صاحب هذا الديوان ، ولكنه استهلالٌ واجبٌ أردتُ به أن أجلو حقيقةً من حقائق هذا العالم الأثـيـر الـمثـير بكل جـوانبه ، ألا وهـو« عالم الشعر».

أعـود إلى سبب كتابة مقدمة لهذا الديوان - وهو الخامس على طريق الإبداع ودرب القصيدة - فأشير إلى أن هذا السبب إنما يرجع فى المقام الأول إلى أن تجربة هذا الديوان ربما تختلف عن تجارب الدواوين الأربعة السابقة ، ليس فقط من ناحية الشكل والمضمون ... بل إن الاختلاف هنا يتمثل فى عنصرى المكان والزمان الـمصاحبين للجو النفسى الذى أبدعـت خلاله تلك القصائد ، حيث تم استلهامها جميعًا بعيدًا عن أرض الكنانة وعاصمتها الحبيبة « القاهرة » التى كانت دومًا فى خاطرى وأنا أمزج تجربة الغربة بكل ما فيها من معاناة ، بعشـق الوطـن الأم والشـوق إلى الحبيبة (الرمـز) التى تسكن قلب هذا الوطـن .

فقد استوحيت هذه القصائد من خلال تجارب تلك الفترة التى بعدت فيها عن مصر بنيلها وأهرامها ، ودفئها، وزحامها ، وثراها، وقلبى الذى لم أستطع أن أحمله مع حقائبى عند مغادرتها . بعض هذه القصائد كُتِبَتْ ما بين مارس ١٩٨٩، ومارس ١٩٩٠م ، والبعض الآخر - وهو الأعم - كتب ما بين يونيه ١٩٩٢ ، وديسمبر ١٩٩٤م، يستثنى من ذلك القصيدة التى اخترتها لتكون عنوانًا لهذا الديوان «هذا هو القمر» والتى كتبت حديثًا (مايو ١٩٩٩).

وبالرغم من أن هناك قصائد عديدة أبدعتُها قبل هاتين الفترتين أو بينهما ، فإننى تعمدت أن أتخير بعض القصائد التى تجمع بينها دماءٌ واحدة وتربطها وشائج متشابهة ، حتى وإن اختلفت موضوعاتها . أما فيما يتعلق بالتجديد فى الشكل والمضمون ، فإنه يسعدنى أن أتلقى الرأى فى تلك الأمور من القارئ المحب للشعر الذى يمثل النبض الحقيقى لمشاعر القصيدة ، ومن الناقد الحصيف الذى يتواصل دومًا مع العمل الإبداعى فيضفى عليه أبعادًا ورؤًى جديدة وعميقة . وتمنياتى لكم بصحبة هادئة هانئة مع قصائد الديوان.

يونية ١٩٩٩

عبدالجواد طايل





هذا هو القمر

إذَا المَساءُ بَعْدَ أَنْ تثاءَبَ النهارُ
أَقْبَلا
ونامَ كُلُّ مُتْعَبِ .. بحفنةٍ منَ الهُمومِ
مُثْقَلا
وانْسكَبَ المدادُ كالدموع فوقَ وَجْنَةِ الورَقْ
والشاعرُ المُعَذَّبُ اخْتَلىٰ
فى اللَّيلِ بالسُّهادِ والأَرَقْ
وراحَ يحترِقْ
وسافرَ الخيالُ مثلَ نورسٍ مُهاجِرٍ
واشْتَعَلا
وصوتُكِ الملائكىُّ عَبْرَ هاتِفِى
تَسَلّلا

ورقْ
ولَمْ يزَلْ يُضيءُ عَتْمَةَ الغَسَقْ
والليلُ قد خَلا
إلاّ من ارتعاشة.. وزَفْرَةٍ.. وآهةٍ.. وقُبلَةٍ
وفاصلٍ من النَّزَقْ
ولم نُحِسَّ لَحْظَةً بأن ظُلمَةَ الدُّجَى تَبَدَّدَتْ
وانحَسَرَتْ
والشمسَ ـ فجأةً ـ تسلَّلَتْ
وأشْرَقَتْ
ولَمْ أزَلْ أنا وأنتِ نَعْتَنِقْ
ونَرْتَفق
لنُكْمِلَ الروايةَ الجميلةَ الفُصول.. والمُسَلْسَلا
كأنَّ لم يَعُدْ هناكَ عاشقانِ غيرنا
أنا وأنت بالأُفُقْ
كأنَّنا طفلان قد تَدَلَّلا

وجهان قد تَهَلَّلا
كالشَّمْسِ ساعةَ الشروق
كابتسامة الوَجود لحظَةَ الشَّفَقْ
كَأنَّنا فَرَاشتَانِ هامَتا
وحَطَّتا
على جَناحِ زهرة بريَّة
شَرْقيَّةِ الأَرِيجِ والَعبَقَ

*****

حبيبتى.. تَكَلَّمِى
ودَغْدغِى مَشاعرى
فأنت.. أنت تَسَكُنِينَ أَضْلُعِى
وتَنفُذَينَ فى دَمِى
منذُ التَقَتْ دُموعُنا
وأنْت ملْءُ خاطرى
ومُنْذُ أَنْ طبَعْت قُبْلَةً شَهِيَّةً على فمى

قُولي أُحِبُّ مُقْلَتَيْكَ ألفَ ألفِ مَرَّةٍ
يا شاعِرِى
يا مُلْهِمِى
فأنت أَمْسِيَ الذى بكيتُه
قد الْتَقَى بحاضِرِى

*****

حَبيبَتِى
سَأَلْتُ ذاتَ لَيْلَة نَوافِذَ الدُّجَى
عَنِ القَمَرْ
قالتْ وقَدْ تَعَجَّبَتْ :
على سَفَرْ
إلى مدينةٍ قَرِيبَةٍ.. بعيدةٍ.. مُتْعَبَةٍ
لا تَنْتَمِى
فى شَكْلِها ولَوْنِها لسائرِ البلادِ والمُدُنْ

وحُزْنُها الشفيفُ ليسَ مِثْل هذِهِ الشجون
فى مَلامحِ البَشَرْ
صارَتْ لَهُ الأمانَ والسَّكَنْ
ففجْأةً
قَدْ زَارَهُ بغَيْرِ مَوْعِدٍ قَدَرْ
ولم يَكُنْ
علَى حَذَرْ
فَنامَ فى عَيْنَيْكَ واطْمَأَنْ
هذا هو القَمَرْ
وأَنْتَ أَيُّها الشَّقِىُّ لم تَزَلْ
تَهْفُو إلى دَقِيقَةٍ أو لَحْظَةٍ قَصيرَةٍ منَ الْوَسَنْ
وتَمْخُرُ العُبَابَ بالبحارِ غَادِيًا ورَائحًا
وسائحًا
تَجُولُ بالمَرافئِ البَعِيدةِ المَدَى

وتَقْتَفى الأَمْواجَ وهى تَتْبَعُ السُّفُنْ
وتَسْأَلُ الضَّبابَ والرياحَ والسَّحابَ والمَطَرْ
والغَيْمَ والنُّقوشَ فى الحَجَرْ
ولَمْ تَزَلْ مُعَذَّبًا فى الرُّوحِ والبَدَنْ
وهائمًا
مُشَرَّدًا
من وَطَنٍ إلى وَطَنْ
مِنْ غَيْرِ أَن تَرْتاحَ أو تَقَرّْ
لِمَ السؤالُ يا مُعَذَّبٌ إذَنْ؟!
لِمَ الدُّمُوعُ والشَّجَنْ؟!
لِمَ السَّفَرْ
وبَيْنَ مُقْلَتَيْكَ مِنْ زَمَنْ
يَسْتَوْطِنُ القَمَرْ؟!

مايو ١٩٩٩





رسالةٌ إلى ولَدِى

وَلَدِى
صَغِيرِى
طفلىَ الغالى
ورائحةَ الأمانى .. والأمَلْ
أنا رغمَ هذا المهرجانِ
وهذه الضَّوْضاءِ
والجسرِ الطَّويلِ من الرِّفاقْ
وعُذوبة الكلمات إبَّانَ التَّصافُحِ
والتَّأهُّبَ للفراقْ
وحرارة الأحضانِ والأحزانِ
فى بعضِ المُقَلْ

ودموعِ كلِّ الأهـلِ والأصحابِ تجرِى
فى شرايينِ القُـبَـلْ
عـنـدَ العـناقْ
وشعُور أُمِّـكَ واندهاشِ أبى وأُمِّـى
كُـلَّما السَّاعاتُ فَـرَّتْ راكضات
مـثلَ أفراسٍ عـتاقْ
قبلَ انطلاقِ الطَّائـرهْ
وأنـا أُقَـبِّـلُ أرضَ مصـرَ وكلَّ نجـمٍ فى سماء القاهرهْ
ما زلتُ أشعُـرُ أنَّنى فى بيتِ أُمِّى أَستعيدُ الذِّكـرياتْ
أتحسَّسُ الأوراقَ .. رائحةَ الـرَّسائـلِ
والحروفَ الـرَّاقصاتْ !
مُتَسائلاً .. من أينَ جاءتْ يا تُـرَى

من أىِّ تـلـكَ الـمُعجَباتْ !
الفاتناتْ !
متناسيًا توقيعَها .. أو ناسيًا
فخـلالَ ساعات قـصارْ
وصَلتْ جميعُ حَقائبى أرضَ المطارْ
ولمحتُ أفواجًا من المستقبِلينَ تزاحموا
فى شُـرفة للانتظارْ
يتطلَّعونَ على عَـجَـلْ
وكأنَّهم وقفوا على أطرافِ أرْجُـلِـهم حُـفاةً
فوقَ أشواكٍ ونارْ !

أدركتُ ساعتَها بأنِّى قد وصلتُ إلى هُـنا

قبلَ الوصولِ إلى قَـرارْ
ووقفتُ فى الطَّابورِ مشدوهًا
أُطالـعُ كلَّ وجه بانكسارْ
وأنا أُتَمْـتِـمُ فى وَجَـلْ
وحسبتُ أنِّـى بينَ أقرانى وأهلى
لـم أزَلْ !

أنا قد وصلتُ حـقـيـقـةً
بَـعدَ انتصافِ اللَّيلِ أو قبلَ انتفاضاتِ
النَّـهارْ
لكنَّ شيئًا قد نَسِـيتُ هناكَ فى أرضِ
الوَطَـنْ
قد زاغَ منِّى فى زحامِ الوافدينَ
منَ البَـوادِى والـمُـدُنْ

أنا قد وصلتُ حقيقةً ومعى جميعُ حقائبى
لكنَّ قلبى لم يصِلْ !

*****

أنا يا صغيرى لم أزَلْ فى مصرَ .. لم
أرحلْ بعيدًا
عن حدودِ القاهرهْ !
النِّيلُ يجرى فى عُروقى والمواويلُ الشَّجيَّةُ
والزِّحامْ
واللَّيلُ والعُشَّاقُ بينَ يديهِ أطفالٌ صِغارٌ
لا تنامْ

والنَّـاسُ تركضُ خلفَ أحلامٍ وأوهامٍ جِسامْ
وضجيجُ أصوات الـتّـرامْ
ومُحَرِّكاتُ القاطرَهْ !
وتلاحُقُ الأنفاسِ بحثًا عن شرابٍ
أو طعامْ !
ورتابةُ الإيقاعِ فى زَمَنٍ بغيرِ مَـلامحٍ
واللّـَفُّ والدورانُ فى ذاتِ المساحةِ
حولَ نفسِ الدائـره !

والحزنُ يبدو فى العيونِ الـمُـرهَـقاتِ
فى الملامحِ .. فى السُّكوتِ .. فى الكلامْ
أو فى النِّـكات السَّاخرهْ !
وعلى وجوهِ النَّاسِ .. كلِّ النَّاسِ

من مُتفلسفينَ إلى عــوامْ
لكنَّـهُ الحـزنُ النَّبيلُ أو المغلَّفُ بالقناعـةِ
والسَّلامْ
والثَّورةُ الهَوجاءُ حـدّ دقائقٍ
والثَّـرثَـراتُ العابره !

*****

أنا يا صغيرى لم أنـمْ للآنَ .. لم أَغْـفَـلْ
وأحلامى صقيعٌ كالشِّتاء الزَّمْهَـريرْ !
فهناكَ فى مصـرَ الوسادةُ والغطاءْ
وهناكَ فى مصـرَ الرَّحابةُ والصَّفاءْ
وهناكَ فى مصـرَ الضِّـيافةُ ما لها فى أىِّ

عاصمة نظيرْ !
وهناكَ رغمَ مساحةِ الأحزانِ فى قـلـبِ
البَـشَـرْ
رغـمَ التَّـلاحُمِ .. والتَّـزاحُـمِ .. والتَّـبرُّمِ
والضَّـجَـرْ
لـمَّا يَـزَلْ قـلـبٌ كبيـرْ !
هـو قـلـبُ مصـرَ يـدقُّ فى حِـضْـنِ القُـرَى
الخضراء
فى الصَّحَراء
فى ليلِ الـمَدائنِ والحَـضَـرْ !
ويَـرِقُّ حينَ تجـفُّ كلُّ مشاعـرِ الـدُّنيا
وتبدو كالحَـجَرْ
أو كالـرِّياحِ السَّافياتِ الهُـوجِ
فى ليلِ مَطيـرْ !

*****

أنا يا صغيرى لـم أزَلْ أزهـو بأنِّى واحدٌ
من هؤلاءِ الطيِّبينْ !
الصَّابرينْ !
الـرَّافـعـينَ إلى السَّـماءِ أكُـفَّهم فى كلِّ
حِـينْ !
مِن قبلِ أخنـاتونَ والتَّوحيـدُ فى دمِـهِم
يَقيـــنْ !
أنا لم أزَلْ أزهو بأنِّى واحدٌ
من نَسْلِ أبناء الحضارات العريقة فى القِـدَمْ
وبأنَّ للتَّاريخِ عندى سيرةً تُحكَـى
وذكْـرَى تُحْتَـرَمْ !
النِّيلُ يَشهدُ والهَـرَمْ

ومَسيرةُ الآباء والأجداد آلافَ السِّنين
والسَّاهرونَ هناكَ فى حيِّ الحُسَين
وفى رحابِ الأولياء الصَّالحينْ !
والفَجرُ فى رمضانَ والقرآنُ يُتْلَى
والتَّقاليدُ الفريدةُ والكَرَمْ
وجموعُ أطفال صغار لم تَزَلْ
رغم انتصاف اللَّيلِ يَقْظَى .. لم تنَمْ
والذِّكْرياتُ مع الألَمْ
وحُروفُ مصرَ قصيدةٌ أشدو بها
إمَّا يُراوِدُنى إلى مصرَ الحنينْ !

مارس ١٩٨٩م





هـنـا القاهـره

ثلاثونَ .. لا !! أربعونَ صباحًا وأكـثـرْ
ولم يحمل البـرقُ أيَّـةَ بُـشْـرى إلينـا
وتَـمضى الليـالى ثـقالاً علـينا
كأنَّ خُـطاها تسيرُ الهُـوَيْنـى
ولم نطمئـنْ
ولم يأتِ ساعى البريدِ برائحةٍ
من تُـرابِ الـوَطَـنْ
لكى أستحمَّ بأنفاسِـهِ
ولكى أتعطَّـرْ !
وأنـثُـرَ فوقَ شـفاهِىَ بعضَ الحُـروفِ
وأرشُفَ من عَـبَـقِ الـنِّـيلِ

رَشْفَـةَ خَـمـر
ورشفةَ سُـكَّـرْ
مُـقَـطَّـرْ !

ثلاثونَ ... لا !
أربعونَ وأكثرْ !
أنا أتذكَّـرْ
فهذى الرسالةُ فى جيبِ حافظتى
لم تـزَلْ
على وجنتيْها بقايا شفاه !
وفى شفتيها بقايا قُـبَـلْ !
وفى مُـقْـلَتَـيْها دموعٌ تُـحَدِّثُـنى عن
معاناتِـها

عن هواجسها
كلّما الليلُ أقبَـلْ

وفى لهفة تتوسَّلْ
وتصرخُ .. أرجوكَ لا تتأخَّـرْ
فإنَّ الحنانَ الذى كانَ كالنَّبْعِ
أوشكَ أنْ يتبخَّـرْ
وإنَّ النَّـدى فوقَ سطحِ زُجـاجِ نوافذنا
كاد أنْ يتحجَّـرْ !
وإنَّ الأمانىَّ قد أصبحتْ كالطَّـللْ
وقد ذبُـلتْ واعتراها الـمَـلَـلْ
ولكنَّ هذى الرسالةَ منذْ أربعينَ صباحًا
وأكـثـرْ
ومن بعدِها كـلمَّا طافَ ساعى البريدِ

يُـبادرُنـى صائحًا ..
لا تسَـلْ
فكلُّ الرسائلِ جاءتْ ولكنْ
رسالةُ مـصرَ الحبيبةِ
لا .. لم تَصِـلْ !

*****

وأسألُ نفسى عن السِّـرِّ فى هذه الظَّـاهرهْ
تُرى ما الذى بـدَّلَ النَّاسَ حتَّى استحالتْ
مَشاعِرُهُمْ فاتـرهْ ؟!
فهذا هـو النِّـيلُ ما زالَ يصفـو
وما زالَ للنِّـيلِ - حينَ يراودُهُ العشقُ
والعاشقونَ - . .
حنانٌ وعَـطـفُ !

وما زالَ صوتُ المُؤَذِّنِ يخترقُ الصَّمتَ
فى الفجرِ
والنَّاسُ كهلاً وشيخًا
إليهِ تخِفُّ
وتهفو
وما زالَ للبرتقالِ أريجٌ
ورائحةٌ ساحرهْ
وما زالَ عبدُ الوهابِ يُغنِّى
وصوتُ المذيعِ يُرَدِّدُ كلَّ صباحٍ
وكلَّ مساء
هنا القاهرهْ !!

يناير ١٩٩٠م







... إلاَّ عينيكِ

يا سيدتى
وأنا أرتشِـفُ القهوةَ كلَّ صباحْ
من غيرِ حَليبٍ أو سُـكَّـرْ !
أسرحُ بخيالى .. أتذكَّـرْ
الساقى .. همساتِ العُـشّـاقِ .. موسيقى
الفالسِ
الفلامنكـو
وصدى همهمـةِ السُّـيَّاحْ
فى بَـهْـوِ الفندقِ
والأقداحَ تغازلُ فى مـرحٍ
وتعانقُ بعضَ الأقداحْ

وأنا أرتشفُ القهوةَ مثلَكِ
دونَ حليب أو سُكَّرْ
حتَّى أرتاحْ
فى ظلِّ مفاتنِكِ الممزوجةِ بالرَّيْحانِ
وبالعَنْبَرْ
أتمنَّى أن تتوقَّفَ ساعاتُ الدنيا
ألاَّ تَعبُرْ
حتَّى نَفنى
أو نتلاشَى
أو نتبخَّرْ
كالغَيمةِ تحمِلُها الأمطارُ بلا كفَّيْنِ
وكالأرواحْ ...
يا سيدتى
وأنا أرتشفُ القهوةَ كلَّ صباحِ

والأوراقُ على طاولتى تـتبعـثـرْ
يتدفَّـقُ غضـْبًـا .. إحساسى
تصَّاعدُ قَسْـرًا ... أنفاسى
أشعُـرْ
بحنينٍ طاغٍ للوطنِ المعشوقِ .. لقاهرتى
للنيلِ .. لعَينيك الأجـمَـلْ
لصِـباىَ الغَـضِّ .. وللأحلامِ الـبِـكْـرِ
وللزمَـنِ الأوَّلْ
أرسُمُ خارطةَ الدِّلـتـا فوقَ قُصاصاتِ
الأوراق
وأُبـحـرُ فى عينيكَ ..
أُفَتِّـشُ عـن أصـحابى فى سنواتِ العُـمرِ
الأولى
أتـجـوَّلْ

أَجْـتَـرُّ حديثَ الأمسِ الرائعَ
عن أمِّ الدُّنـيـا
أسترجعُ فصلاً .. أَنـبشُ ذاكرةَ التاريخِ
وأقـرأُ بعضَ الألـواحْ
أحمُسَ ... رمسيسَ وأخناتونَ
وخـوفـو
والهرمَ الأكـبـرْ
عــمــرو بن العاصِ .. صــلاحَ الــديــنِ ..
الظاهـرَ بيبـرسَ
وجَــوْهَــرْ
ومآذنَ مصـرَ الألف تُـكـبِّـرُ فى ظـلِّ الأزْهَـرْ
وأنا ما زلـتُ أُرفـرفُ فى صمْـتٍ مُـذْهـلْ
من غيرِ جَـنَـاحْ
من غيرِ صِـيـاحْ

والصُّـــبْـحُ رتيبٌ مثـلَ الليـلِ .. كئيـبٌ
مثـلَ الـمَـوْت
رهيبٌ مثـلَ الأشباحْ
ورنينُ الصَّـمْـتِ على أنفاسى يتكسَّـرْ
وأنـا أعْــزَلْ
أو كالأعزلْ
من غيرِ سلاحْ
أرتشفُ القهـوةَ كلَّ صـباحْ
أسرحُ بخيالى ... أتذكَّـرْ
أعتزلُ العالـمَ من حـولى
إلاَّ الأحلامَ .. وإلاَّ الشِّـعرَ .. وإلاَّ العَـزْفَ
على أوتارِ الحُـبِّ ..
وإلاَّ عيْـنَـيْـكِ الأكـثَـرْ
إشـراقًـا

من قسمات البدرِ بمنتصفِ الشَّهرِ العربيِّ
ووجهِ الشَّمْسِ ... وزيتِ المصباحْ !

*****

يا سيدتى
وأنا أستَمِعُ إلى فيروزَ تغنِّى كلَّ مساءْ
يا ليلُ .. الصَّبُّ متى غدُهُ
أُدْركُ - لحظَتَها - أنَّ الموتَ على شفتى
وبأنَّ الحَدَّ الفاصلَ قطرةُ ماءْ
وبأنَّ غدًا أبْعَدُ من قاعِ البحْرِ
ومن قافلة لن ترجِعَ أبدًا
ضَلَّتْ فى عُرْضِ الصَّحراءْ
حتَّى إنْ ظلَّ يُراودُنى وأُراودُهُ
حتَّى إنْ راحَ يُطاردُنى
وأنا بالشَّوْقِ أُطاردُهُ

حتَّى إنْ مـدَّ إليَّ يـدًا عـطْـشَى.. وبَـدَتْ
كالجِسْرِ سواعدُهُ
كـي مـا ألـقاهُ
من بعد الليلِ الـمُـفْـعَـمِ بالأنَّـات وبالآهْ
كي أسألَ عنكِ وعن عينيكِ وعن أخبارِ
العِـشْـقِ
وإرهاصات الشُّـعَـراءْ
عن أيَّـةِ أخبارٍ أُخْـرَى
تَـتْـرَى
تحمـلُ عـطْـرا
تُصبِـحُ ذِكـرَى
تتطايـرُ أو تتواتـرُ عن أُمِّ الدُّنْـيـا
مِـصْـرا
يَحملُها المذياعُ .. التلفازُ .. البـرقُ ..

وَكالاتُ الأنبـاءْ !

*****

يا سيدتى

وأنا أستـمعُ إلى عَبـد الـوَهَّابْ

مُـضْـنَـاكَ جَـفاهُ مرقَدُهُ

وبَـكاهُ .. ورحَّـمَ عُـوَّدُهُ

أستندُ برأسى خلفَ الحائطِ

والأبوابْ

يقفـزُ قلبـى

يرتعشُ وتبكى حولى كامرأةٍ ثَـكْـلى

كلُّ الأشياءْ

أشتاقُ إليكِ بلا حـدٍّ

وإلى قسماتِ الوجهِ النابضِ بالحُـسنِ

الطاغى

وبراءاتِ الطّـفلهْ
وإلى وجهى
الآمـنِ بينَ الأهدابْ
والساكنِ فى ظـلٍّ الـمُقْـلَهْ
أحلُـمُ بعناق أو قُـبْـلَـه
وبحبّـات الذّهَـب المنثورة فى كتفيـك
وأعْـجَـبُ كـيـفَ نَسِـيـتُ بأنْ أسـرِقَ
خُـصْــلَهْ ؟!
أحْتَضِـنُ تَـمـيمَـتَـك المأثـورةَ فى صـدرى
وأضمُّ جميـعَ ملامحِـها
وأُعـانِـقُها
فى لحظة ضعـفٍ
أو خـوفٍ
وأسىً

وحنينٍ
وعَـناءْ
وأُقَبِّـلُـها
من غيرِ حيـاءْ
فأنا من بعدِ اليومِ الرابعِ والعشرينَ
من الشهرِ الماضى
تشرينَ الأوَّل
لا أتنفَّسُ .. سيدتـى
إلاَّ ... أحيـانًـا
تحتَ المـاءْ !!!

نوفمبر١٩٩٤م





الشاعر

من قديم الزمانِ وهو يعانى
دامعَ القلبِ .. حائرَ الوجدانِ
شفَّهُ الوجدُ كلما أرَّقَتْهُ
الليالى .. وعذَّبَتْهُ الأمانى
راكضًا كالجواد خلفَ سرابٍ
أبدىٍّ وخلفَ خيطِ دُخانِ
سكنَ النَّاسُ كلُّهم واطْمَأنُّوا
واستراحوا على صُدُورِ التَّوانى !
وهو كالزَّورقِ الذى ليسَ يرسو
كلما حلَّ زاهدًا فى المكانِ !

يَمخُرُ اللـَّيلَ مُتعبًا فى صراعٍ

بينَ قيدِ النُّهـَى .. وعصفِ الجَنانِ

مُـثـقَــلاً بالخـيالِ فى كلِّ دربٍ

يشـتريهِ بالعمـرِ بعـضَ الـثَّوانى

علَّـهُ يمنحُ الـوجـودَ الـمُعَــنَّى

دهـشةَ الحبِّ فى انطلاقِ المعانى

كلُّ معـنًى قصـيدةٌ فى دمـاها

نبَـضـــاتٌ .. تـمـوجُ بالخـفــقانِ

كـلُّ نبـــضٍ كأنَّـهُ يــتـحـــدَّى

ويُباهِى بـروعـــةِ الإنـســـانِ

يَذرَعُ الأرضَ جيئـةً وذهـابًا

مُطـلـقًا للخيـالِ كلَّ عـــنـــانِ

وهـو ما زالَ مُهـجـةٌ تَـتَـلـظَّىٰ

بينَ حـرِّ النَّـوى وحُـلـمِ التَّـداني

دونَ أنْ يشتكي وفي مُـقْـلتيْـه

دمـعـةٌ قد أبَـتْ سِـوىٰ اللمـعانِ

أَخْـــبَـرَتْـنـا بكـلِّ شـــيء لديـه

جَفوةُ النَّاس وانصـرافُ الـزَّمانِ

واغتــرابٌ بـدارة بـعدَ أُخــرى

بيـنَ أهلـيـه في حمـى الأوطـانِ

أيُّهـا الطَّـائـرُ الـمُـحلِّـقُ دومًا

سـكنَ اللَّـيلُ واهتـدى الـثَّـقَلانِ

والطُّيـورُ التـى تـروحُ وتـغــدو

سَـئِـمَتْ من تواتُرِ البُكا والأغاني

والوجـودُ الذى يمـورُ ويغـلى

قد سجا لحـظـةً بلا غـليـانِ

وبعينيْـكَ لم يزلْ ألفُ سُـهْـد

يحرسُ الأفـقَ فى الدُّجَـى الوسنانِ

فابْـكِ ما شئتَ واحترقْ وتعـذَّبْ

وانسجِ الحُـلمَ من شـذى الأُقحوانِ

طـرِّزِ الشِّعرَ بالخيالِ الـمُـوَشَّـى

بعـقيـقٍ ولـؤلـؤٍ .. وجُـمـانِ

واحملِ الوِزْرَ والذُّنـوبَ جمـيعًا

واعتـرفْ أنَّـكَ الوحـيدُ الجـانى

فالوجودُ العنـيدُ لـن يتخـلَّى

عـن هَـواهُ وعـن هـوى الشَّيطانِ

وعنِ السَّيْرِ خلفَ كلِّ طــريف

وعــن الرَّقــصِ إثْـرَ كلِّ بـيـــانِ

فهو ما زال سادرًا فى الخطايا

مثــلما أنــتَ لا تــزالُ تـعـــانى

فمـتَى الأرضُ أبطـأتْ وتـوانـتْ

وتَخَـلَّــتْ عن سُـنَّـــةِ الـدَوَرانِ

ذَرَّةٌ أنـتَ فـى فـضـاء فـســيحٍ

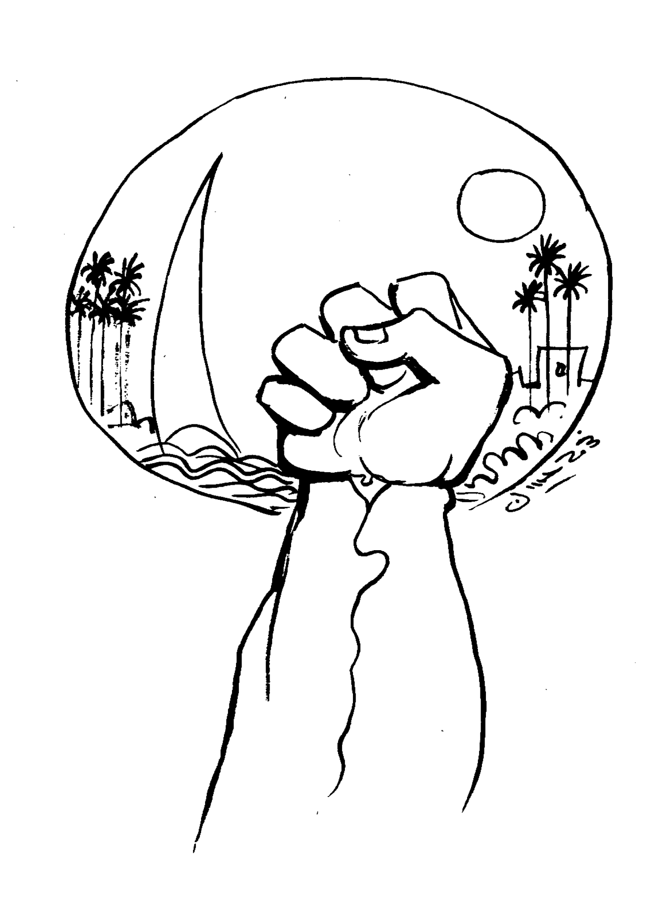
دونَ جــاهٍ ودونــما صـولجــانِ

فاعتـزلْ هـذه الـمَـدائنَ وارحلْ

وانسَ ما أحلى نعمةَ النِّسيانِ

فبراير١٩٩٣م







الحياة ... وطن

لماذا يقولونَ إنَّـكَ قد صِـرْتَ بئسَ الوطـنْ
وبئسَ الصَّـديقْ
وأنتَ كما أنتَ ما زلـتَ تُعْطِي بغيرِ ثـمـنْ
نضيقُ، وأنتَ بنا لا تضيقْ
جناحاكَ حضـنٌ ... ومـدفأةٌ
وشـراعُ أمَـانْ
ونبعُ حنانْ
وعـتقٌ .. وعشقٌ عميقٌ .. عميقْ !
وليلُـكَ مَرْحَمةٌ وسـكَـنْ
وهَجْرُكَ مُـرٌّ بلا يقظة .. أو وَسَـنْ
ومن غيرِ طَـعْمٍ .. ودون رحيقْ

وكلُّ رداءٍ يُغطِّي ويستُرُ عُرْيَ البـدنْ
ولـو من حـريرْ
إذا لـم يـكنْ
مُـوشّـى بأَحْرُفِـكَ الخالداتْ
يُقَـيِّـدُني كخيوطِ الكَـفَنْ
ويَجْعَلُني في عِـدادِ الـرَّقيقْ !

*****

أنا سـيِّـدٌ فـيـكَ مَهْما اخْتَـلَفْتُ معَـكْ
ومهما اغْتَرَبْـتُ
وطـوَّفْـتُ عَبْرَ الفَـلَـكْ
فما أَكْـرَمَـكْ!
وما أَعْـظَـمَــكْ!
تـمُـدُّ يَـدَكْ
وتصفحُ عن كلِّ من يخذلونَـكَ عندَ

الـمـحَـنْ
ومَنَ يُشْعـلونَ بواديـكَ نارَ الفـتَـنْ
وينكفئونَ على ثَمَـراتـكَ مـثلِ الـذُّبابِ
ومـثـلَ العَـفَـنْ
ويَلْتَهمونَـكَ فى كلِّ نازلَـة كالحـريقْ !
وأنتَ كما أنتَ ما زلـتَ تعـفو وتنسَى
إساءةَ
كلِّ الـرِّفاقْ
وتَـرْأَبُ صـدعَ العشيرة عندَ الشِّقاقْ
لأنَّـكَ ما زلـتَ نـعْمَ الـرَّفيقْ
وتَـعْـبُـرُ فى كبرياء الـمُحارب كلَّ مَـضيقْ
وتُصبحُ رُبَّـانَ كلِّ السُّـفُنْ
وطَوْقَ النَّـجاة لكلِّ غـريقْ !
ومائدةً حولَها تتوحَّدُ كلُّ البلادِ .. وكلُّ

الـمُـدنْ
فكيفَ تكونُ الحياةُ بدونـكَ
يا سيدى
والحياةُ وَطَـنْ

*****

وأجملُ ما فيكَ أنَّـكَ تمحو جميعَ الخطايا
إذا ما ابْتَعَدْنا وعُـدْنا إليكَ
جـياعًا .. عَطاشَى .. عَـرايا
وتفتحُ أبوابَـكَ الـمُغْلَقَـهْ
لترتاحَ أحلامُـنا الـمُـرْهَـقَـهْ
علي صدرِكَ الـرَّحْـبِ ننفضُ عنَّا غُبارَ
السِّنينْ
وفوقَ الجَـبـيـنْ

نُهَدْهِدُ جُرْحَ الزَّمَنْ
وننسَى عَنَاءَ الطَّرِيقْ !

*****

وحينَ نُعِدُّ حقائِبَنا للسَّفَرْ
ويبدأُ فصلُ الوَدَاعْ
تسافِرُ فينا لحدِّ النُّخاعْ
وتَصْحَبُنا كلَّ يومٍ رفيقًا لنا منذُ بدءِ الصَّباحْ
وحتَّى السَّحَرْ
تُؤانِسُنا فى ليالى السَّمَرْ
وفى أُمسياتِ الضَّيَاعْ

تُطلُّ علينا
تُهَدْهِدُنا كخيوط الشُّعاعْ
وتغسلُ أحزانَنا كالقَمَرْ !
تُعانِقُنا والعيونُ ظماءْ
وأكبادُنا حُرْقةٌ والْتياعْ
وأرواحُنا لم تزَلْ تَسْتَعِرْ
وحينَ تُغادرُنا لحظةً أَو يُشاعْ
بأنَّكَ أصبحتَ تزهَدُ فينا
ولن تحتوينا
يدورُ بأعماقنا ألفُ ألف صراعْ
ويُصْبِحُ لاَ فرقَ بينَ الحَياةِ لدينا
وبينَ سَقَرْ !

يناير١٩٩٣م



سأعود ... لكن !

لا تَـقْـلقى
رغـمَ انفـراط الأربَـعينْ
وسُـقوطِ أوراقِ السِّنينْ
فأنا أنا ما زالَ في قلبى وشريانى حنينْ
لنوافذ الأمسِ التى لـم تُـغْـلَـق
وأنا أنَا ما زلتُ أَشـعُـرُ أنَّـنى طفلٌ حَـزينْ
وبأنَّـك الأمَـلُ الـوحيدُ بأنْ أُرَدَّ إلى
الـوُجودَ
وأَستعيدَ تـألُّـقـى !

وأنا أنا ما زلتُ أحـلُـمُ بالغَـد الآتـى
وفى الأعمـاقِ بعضٌ من يَـقينْ

أنّى سأُولَدُ من جَديدٍ رغمَ حِرماني
ورغمَ تَمَزُّقي
أنا رغمَ هذي الغُربَةِ الحَمقاءِ والأغلالِ
والفكرِ السَّجينْ
والنَّاسِ حَوْلي من قُلوب لا تَلينْ
ما زلتُ أَشْعُرُ أنَّك الكَوْنُ الرَّحيبُ
وشاطئايَ وزَوْرَقي !

أنا يا رفيقةَ كلِّ أيَّامِ الصِّبا من قبلِ أنْ
تَتشكَّلي أو تُخْلَقي
مُتَوَرِّطٌ في الحُبِّ .. في عينيكِ .. فيكِ
تَشُدُّني
أنفاسُكِ الحَرَّىٰ وعِطرُ الياسَمينْ
وعِناقُنا المَجْنونُ من حينٍ لحينْ

يَستنهِضُ اللَّـيلَ الَّـذى قد غابَ فى صَمْتٍ
رهيبٍ .. مُـطـلَـقِ !!

*****

لكنَّـنى ما زلـتُ فى الـمَجْهولِ أُبْحـرُ لا
رفيقَ .. ولا وَطَـنْ
اللَّـيْلُ يُسْـدَلُ فوقَ أحلامى ويأْوِى
دونَ نَـجْـمٍ .. أو قَـمَـرْ
وبلا صِـحابْ
والـرِّيـحُ تَصْفـرُ فى الـدُّجَـى مَذعُـورةً
وتَـدُقُّ زخَّاتُ الـمَـطَـرْ
أعْـناقَ شُـبَّاكٍ .. وبـابْ

وأنا رهينُ الصَّمتِ أَصحو كُلَّما طافَ
الوَسَنْ
بالمُقْلة الحَيْرَىٰ على صوت العتابْ
« عُدْ يا حبيبي قد تَعِبْتُ منَ البُعادِ ومن
تباريحِ السَّفَرْ
ومنَ الهواتفِ والبريدِ ولَهْفَتى وحَديثىَ
المكرورِ
عن طول الغيابْ
ومنَ السَّهَرْ
خلفَ النَّوافذ كلَّ ليلٍ فى رحابِ الوَهْمِ
والأملِ الجريحِ
وما تبقَّىٰ من شبابْ
أنا لا أريدُ لآلئَ الدُّنيا ولا قنِّينةَ العطرِ
الشَّهيرةَ تلكَ غاليةَ الثَّمنْ

أو أنْ تجيءَ بنجمة من بينِ أحضانِ السَّحابْ
فأنا أُريدُكَ أنتَ أنْتَ هديَّتي
فجميعُ أحلامِ العُـمُـرْ
حملـتْ حقائبَها وولَّتْ وجهَها نحوَ السَّرابْ
عُـدْ لم يَـعُـدْ جَـلَـدٌ لديَّ ولا إِهابْ
وأنا أعيشُ بلا سَـكَـنْ
عُـدْ يا حبيبي قبلَ أنْ يتحطَّـمَ الـمَرْسَى
ويحترقَ السُّـفُـنْ ! »

*****

أنا يا حبيبةَ قَلْبِيَ الـمَسكونِ بالعشقِ الأثيرْ
كم أستجيرْ
من هذه الأميالِ والسَّـاعاتِ تفصلُنا ..

وتـقتُـلُنا
ومن هذا التمـزُّقِ عَبْرَ مَـوجات الأثيرْ
كم أشتهى كلماتِـكِ الملساءَ وهْـى تَـلـفُّـنى
فى بُـردة
عذراءَ ملْمسُها حريرٌ فى حريرْ !
وتُـذيبُـنى ذَوْبَ الجَـليدْ
فجميعُ أيَّامى هنا من غـيرِ عـيدْ
وجميعُ أحلامى بلا قدَمٍ ودونَ سواعـد
شوهاءَ ترسُفُ فى السَّلاسِلِ والقُـيودْ !
وبِصَدْرِها قـلبٌ كسيرْ
كم أشتهِى ضحكَاتِـكِ المتوثِّباتِ ووجهَـكِ
العَـذْبَ النَّـضيرَ
وأنا كمثـلِ فراشةٍ أو نحلـةٍ تمتصُّ من

زَهْـراتـكِ الـفَـيْحاءِ
أنفاسَ العبيرْ !
حتَّىٰ إذا حـلَّ المساءْ
وسَـرَى نسيمٌ باردٌ عَـذبٌ لذيذٌ من بواكيرِ
الشِّـتاءْ
ألفَيْـتُـنى مُـتَدَثِّـراً ومُسافراً
فى شالِـكِ الـمُنْسابِ والمضفورِ باللَّـيلِ
الوثيرْ
وحديثُنا الممزوجُ بالقُـبُـلاتِ روحٌ
أوْغَـلَـتْ فينـا
ودبَّـتْ بالوريـدْ
وكأنَّنا طفلان فى أعوامِـنا الأُولىٰ
وعالـمُـنا فَـضَـاءٌ
فى فضـاءْ

أَحلامُنا من فِـضَّةٍ وخيالُــنـا وردٌ
ومَــأْوانا إذا ما اللَّيلُ جاءْ
نجمٌ بعيدٌ فى السَّماءْ
أَنا يا حبيبةَ قلبىَ المسكونِ بالأَشواقِ سوفَ
أَعودُ لكن لم يَـزَلْ بينى وبينَـكِ
هذه الأَميالُ والـزَّمَـنُ العنيدْ !

ديسمبر١٩٩٣م



أنا .. والليل

الأحاسيسُ التى كانتْ لَـدَىَّ
والهَـوَىَ بينَ يـدىَّ
والصِّبا خَـلْفى .. وقُـدَّامى
وأحلامى فتاةٌ من أثيـر
وربيعٌ أخْـوَرُ الـمُـقْـلَة .. جَـذّابُ الـمُـحَـيَّا
والأمانىُّ على جسرِ شبَابى
صوبَ بـابى
واقفات
ذاهلاتٌ
طالما نادَتْ علىَّ
وذراعُ الحُـبِّ تمتدُّ إلـىَّ
وأنا لا أرتوى - كالبحـرِ - صبحًا وعشيًّا

غَرَّنى بعضُ شبابٍ كان غَضّاً
وطـريًّا
كنتُ لا أدركُ إلاّ لحظـاتٍ
أو كأنِّـى
كنتُ لا أدركُ شـيًّـا !
غيرَ أنِّى شـاعرٌ .. حُـرٌّ .. طليقٌ
غارقٌ فى العشقِ .. حتَّى أذُنـىَّ !

آه ما أتعسَنى اليومَ وما أتعسَ حظِّـى
حينما أبحثُ عنِّى
عن بقاياىَ التى بَعْثَرْتُـها فى كلِّ ركْـنِ
عن ليالٍ سَهِـرَتْ تعـزِفُ لحنى
وتُـغَـنِّـىَ
حينما عدتُ إليها .. أنكـرتْـنى

رغمَ أنَّـا لم نكنْ نخـلو بها إلاَّ سَـوِيًّـا

*****

أيُّـها الليلُ أُناديكَ فهل تَسمعُ - كالأمس -

نـدائـى ؟!

فـتُـلبِّى

ها أنا ألقاكَ وحـدى

لا .. معى بعضُ رفاقى

وبقايا أصدقائى

ذكرياتى .. وانفعالاتى وشِـعرى

وصدى دقَّـاتِ قلبى

ودموعُ الكبرياءِ ..

وهْىَ حَسْـبِى

وحنينٌ لم يزلْ يجرفُنى كالسَّـيْـلِ يجتاحُ

عروقى

ودمائى

ثمَّ لا يلبثُ أنْ يسكُـنَ جنبى !

بينَ صيف وشتاء

كلَّما الأشواكُ داسَتْ فوقَ دربى

أيُّـها الليلُ .. لماذا ؟

لم تعُـدْ تمسحُ أحزانى وتبكى لبكائى

وتُسَـرِّى

عن تباريحى وكَـرْبى

لم تعُـدْ تسألُ عنِّـى

لم أعـدْ أذكرُ ما بـى

لم نعدْ نحكى معًا أو نتناجـَى

لم نـعُـدْ نسبحُ كالأحلامِ فى بحر التَّـمـنِّى

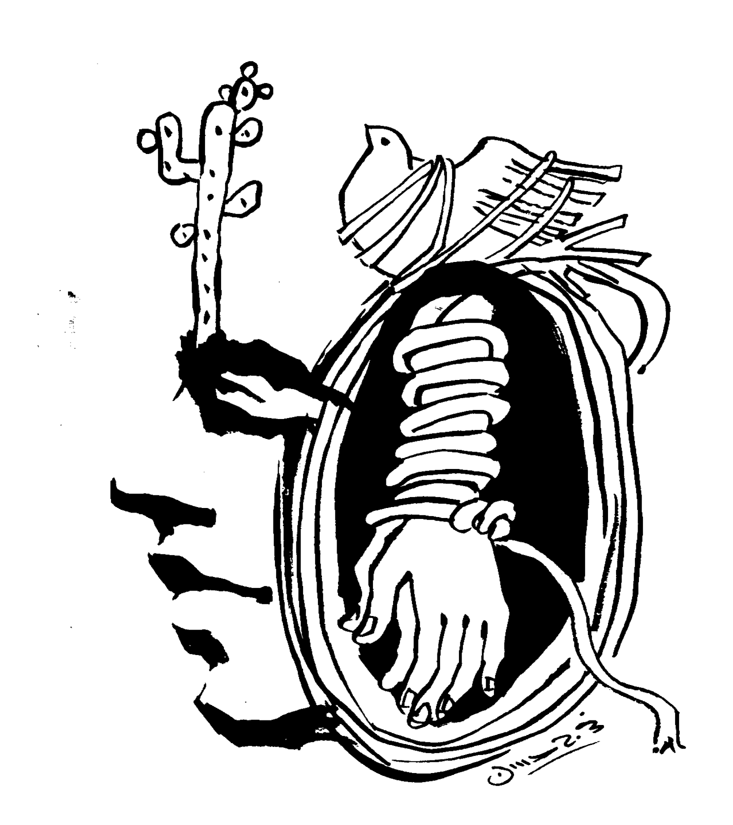
أو نُـغـنِّى

أو نَـجوبُ الكونَ كى نبحثَ عن قصَّـةِ

حُـبٌّ
مثلَ كلِّ الشعراء
مثلَ صبٍّ ذابَ فى قُـبلة صَـبٍّ
أيُّها الليلُ .. لقد طالَ عَـنائى
وعَـزائى
أنّـنى ما زلتُ أشتاقُ إلى نهرٍ وقيثارٍ
وعُـشبِ
وإلى جدولِ ماءِ
وسماء
وظلالٍ من نُجَيمات وسُـحـب !

سبتمبر١٩٩٤م





زفرات

لو صارت الدَّرُوبُ كلُّها مَفَازةً ولَمْ
يَسَّاقط المَطَرْ
وارْتَسَمَ الوُجومُ فى وجوهنا
كالصَّمْت فى ملامحِ الحَجَرْ
وغاضت الدُّموعُ فى العيون .. واختفَتْ
ولم تَعُدْ تُدْرِكُ كيفَ تنحَدِرْ
ولم يَعُدْ أثَرْ
ولا صَدَى
لشاعرٍ فى أوّلِ الزَّمانِ غَرَّدا
أو طائرٍ شَدا

أو نَسمَـةَ تسلَّـلتْ على جَـناحِ قَـطْرةِ
من النَّـدَىٰ
تحمِـل فى أكُـفِّـها حقيـبةً .. مُـفْـعَـمَـةً
بالعشْقِ والحنينِ والـذُّكَـرْ
وبـاقةً من أجمَـلِ الصُّـوَرْ
للشَّـاردِ البعيدِ .. للـمُسافـرِ الغَـريبِ
عَـلَّـها
تَـحـدُّ من مَشَـقَّـة السَّـفَـرْ
ورَهْـبَـة الـمَـدَىٰ
لـو أنـكَـرَ الـمَساءُ - فجأةً - قَـمَـرْ
ولـم يَعُـدْ للعشقِ والـرِّفـاقِ مُـنْـتَـدَىٰ
ولا سَـمَـرْ
ولـم يَـعُـدْ بالأُفْـقِ شاعرٌ ولا قَـوْسٌ ولا
وَتَـرْ

لـو صارت الأيَّـامُ كلُّها رَتيبَـةً
نُـنفـقُ فى سَبيلـهَـا العُـمْـرَ سُـدَى
ولـم نَـعُـدْ نَحلُـمُ بالصَّـباحِ أو
نَستَشْرِفُ الغَـدَا
لـو أَصبحَ الـمَسَاءُ باهـتًـا
ولا طَـريفَ فيه كالسَّـحَـرْ !
لَـجَـفَّـت الحـيَاةُ فى عُـروقـنا
لنستحيلَ كلُّنا
لا آدميِّينَ إذًا ... ولا بَشَـرْ !

*****

لـو لـم يَـكُـنْ على مَـدارِ العامِ غيرُ قَسوةِ الشِّـتاءْ
ودَمْـدَمات الـرِّيحِ فى الصَّـباحِ والـمَسَاءْ
والـزَّيْـفِ والغُـموضِ فى مَـلامحِ الـمُـدُنْ

وفى مَـرافِـئِ الـوَدَاعِ وانْـتِفاضَـةِ السُّـفُـنْ
وصفحةِ السَّماءْ

لَـوْ لـمْ يَـكُـنْ لكلِّ طائـرٍ يَهيمُ فى العَـراءْ
عُـشٌّ .. ولا فَـنَـنْ
ولا شَـواطئ ولا مَـأوى
ولا سَـكَـنْ
منْ بَـعد أنْ تَـلَـوَّثَ الـهَـواءْ
وَأصبحَ الشَّمالُ والجَـنُوبُ من يابسَةَ ومـاءْ
حـكْـرًا على لـون مُـمَـيَّـز من الدِّمَـاءْ
يَـمْـتَـلـكُ العَـبيدَ والإمـاءْ
وعُـمْـلَـةَ الثَّـراءْ
ويشترى بالجـاه والـنُّفوذ عَـبْقَـريَّـةَ الـزَّمَنْ
والعالمُ التَّعيسُ لا يزالُ يَـدفَـعُ الـثَّـمَـنْ

لَـوْ لَـمْ نَـعُـدْ نَجْهَـشُ لحظةَ الحَـزَنْ
كالطِّـفْـلِ ... بالبُـكاءْ
ونَـرْتَـقِـي متَى تَـوَلَّـدَ العَـداءْ
وحَـطَّت الصُّـروفُ والـمحَـنْ
لأصبحتْ حياتُـنا هُـراءْ
بلا هُـوِيَّـة ولا معنًـى ولا وَطَـنْ

*****

لـو شابَ حُـلْمُـنا الأثـيرُ فى الحيـاهْ
أو أُنْـهِـكَتْ قُـواهْ
أو ارْتَـحَـلْ
وأصبحت بَسْمَـتُنا على الشِّـفاه
بِـلا أَمَـلْ
ولَـم تَـصِـلْ
إلى جُـذورِ أَرضِـنا الـمِـياهْ

ولا إلى السَّنابِلِ الظَّمْأَى نَداوةُ البَلَلْ
وانطَفأَ البَرِيقُ فى المُقَلْ
وأَصْبَحَ العِناقُ كاذبًا وخادعًا
وأَصْبَحَتْ كذلكَ القُبَلْ
وضَلَّ بيننَا الوِئَامُ
والسَّلامُ تاهْ
ولم يَعُدْ يَهُزُّنا
الشَّجَنُ النَّبيلُ لا .. ولم نَعُدْ نَمُدُّ
ساعدًا
لِمَنْ يَقولُ آهْ !
أَو مَنْ تَعَثَّرتْ خُطاهْ
وَزَلّ !
وضاقَ ذَرْعًا أَو تَربَّصتْ بِهِ الدُّروبُ
والسُّبُلْ

وافْـتَـقَـدَ الدَّلـيلَ للنَّـجاهْ
لـو كلُّـنا أَصبحَ ذلـكَ الـرَّجُـلْ
لصارت الحياةُ كلُّها
مَلْـحَـمَـةً كَـئيبَـةً .. بلا بَـطَـلْ
ولـم نَـعُـدْ نَبكـى كعَـهْـدِنا منَ الأَزَلْ
بـلا مَـلَـلْ
إلاَّ على تُـراثنا القَـديمِ أَو
على طَـلَـلْ !!

أغسطس ١٩٩٤م







سيدة من سراييفو

أيُّها الإخوةُ فى كلِّ بقَاعِ المسلمينْ
بعدَ إلقاء التَّحيَّهْ
أَدْركونى
وأَجيبونى على كلِّ سؤالْ
دونَ تزييف ومَيْنٍ وضلالْ
واقطعوا الشَّكَّ بسيفٍ من يقينْ
قبلَ أنْ تعصفَ بى ريحُ الجنونْ
ما الذى أهلَكَ إخوانى وأهلى
دونَ أقوامِ البريَّهْ ؟
ما الذى أحدثَ هذا الثُّقبَ فى أرضِ
السَّفينْ ؟

وأَحالَ الأُمَّـةَ العظمَـى إلى أَلفِ غريقٍ
وضَحِيَّـهْ ؟

ما الذى أَشعلَ نيرانَ القرونِ الجاهليَّـهْ ..؟
والحروبِ الطَّائـفـيَّـهْ..؟
وأَثارَ الفُرقةَ العمياءَ والحقدَ الدَّفينْ
والحَـمـيَّـهْ
بعدَ آلافِ السِّنينْ ؟
بعدَ أنْ كانتْ لنا فى الشَّرقِ والغربِ جذورٌ
راسخاتٌ وقَـويَّـهْ
وعُـرًى وُثْـقَى ودينٌ .. أىّ دِيـنْ !
وكتابٌ أَنقذَ الإنسانَ من هَوْلِ الخُـرافاتِ
وزَيفِ التُّـرَّهاتِ الـوثَـنِيَّـهْ

وأعادَ البَشريَّـهْ
بعدَ أَنْ كانتْ لها أَلفُ هُـويَّـهْ
للهُـدَىٰ والنُّـورِ والحقِّ الـمُبينْ

*****

هذه أَخبارُكم يا أُمَّـةَ الإسلامِ فى كلِّ صباحٍ
وعَشيَّـهْ
خَجلاً يَنْدَىٰ لها كلُّ جبيـنْ
فى صحيفاتِ أوروبَّـا
وعلى شاشاتِ تلفازاتِ إِفريقيا وأَمريكا
وآسيا
وإِذاعاتِ الـرِّفاقِ العربيَّـهْ
هذه سيدَةٌ مطعونَةٌ فى كلِّ شىءٍ

بُوسْنويَّـهْ
من سرايفو تناديكم وفى أَحْداقِها
صَمْتٌ وإطراقٌ وإخفاقٌ
وإحساسٌ مريرٌ ومَهينْ
صوتُها ضاعَ هباءً وسُدَىٰ
كلُّنا صُـمٌّ .. وما يُجدِى مع الصُمِّ نداءٌ أو
صَدَىٰ
هتـفَتْ والـلَّـيلُ كالبحـرِ وهل يُعْـرَفُ
للبحـرِ مـدَىٰ ؟!
أَيُّها المليارُ مُسلـمْ
قُـمْ .. تَـقَـدَّمْ
يا صلاحَ الـدِّينِ .. يا عمـرو
ويا سعدُ .. وأنتم يا شبابَ القادسيَّـهْ
أينَ أنتم ؟

أدركـونى
إنَّنَى مُسلمةٌ من سراييفو
بوسْنَويَّـهْ
وشتائى شاحبُ الوجهِ .. كسيفٌ وحزينْ !
ذبحوا زوجى وأطفالى أمامى
سملوا عينَ أبى
أشعَلوا النَّـارَ بأُمِّى وهْـيَ فى الـدَّارِ تُصلِّى
علَّقـوا جَـدِّى على باب الـمُصَـلَّى
مزَّقوا ثوبى بأيد هَمَجِيَّـهْ
وبقلبِ لا يلينْ
قدَّمونى مثـلَ قُربانٍ على مائدةِ الصِّـربِ
طعامًا
للوحوشِ الآدميَّـهْ
نهشوا لحمى وإحساسى وذاتى

مثـلما انـقضُّـوا على ألفِ فتاةٍ وصَبِيَّـهْ
فى مـجونْ !

*****

أيُّها المليارُ مُسلِمْ
أينَ كنتمْ
حينما رحتُ أُنادى ودموعى تـتكلَّـمْ ؟
أدركـونى
خَـلِّـصونى
إنَّها مذبحةٌ أندلسيَّـهْ
إنَّ بيتى قد تَهدَّمْ
إنَّ محرابى تَحطَّـمْ
إنَّ هذا الطِّـفلَ فى الـمَهدِ تَيَـتَّـمْ

إنَّ هذا الوَطنَ الغالي تَشَرْذَمْ
إنَّ هذا الحـاقدَ الصِّربيَّ في أرضي وفي
عِـرضي وفي مالي ... وفي أهلي تَـحـكَّـمْ
أَيُّها المليارُ مُسلِـمْ
أينَ كنتمْ
حينما أصبحتُ لا أَقوَىٰ علىٰ الـدَّمعِ وقد صِـرتُ
بقايا امرأة مكسورة تحيا شَـقيَّـهْ ؟
وأنا أدعوكَ سـرّاً بعدَ أنْ شُـلَّ لساني وأُتمتـمْ
وأنا كُلِّي يقينْ
أنَّني مسلمةٌ لا أنتمي منذُ وجودي
ليسار أو يمينْ
فلماذا أَيُّها المسلمُ لَـمْ تُشهِـرْ

سيوفَ الثَّأرِ
فى وجهِ الجيوشِ البربريَّـهْ ؟
ولماذا لم تُجِـرْنى ؟
ولماذا لم تَصُـنِّى ؟
ولماذا لم تزَلْ تلهو بعيدًا عن ملفَّاتِ
القَـضيَّـهْ ؟!

ديسمبر١٩٩٢م





حبيبتى .. والوطن

تلفَّتُّ حولى
فلم ألْقَ بالأُفْقِ غيرَ ضِفافِ السَّرابْ
فما كان بالليلِ نَجمٌ
ولا بالمساء صِحابْ
وما كانت الكأسُ مملوءةً بالخيالِ اللذيذِ
ولا بالشَّرابْ !
فقد أطلقَتْ ساقَها للرِّياحْ
قُبَيْلَ الصَّباحْ
ولم تلتفتْ خلفَها الأمنياتُ العِذابْ
مُغَلَّقةً خلفَها ألفَ بابٍ وبابْ
لأسألَ نفسى

تُـرَى من أنـا ؟!
مُـهْـجَـةٌ من عـذابْ ؟!
ومعزوفةٌ من جِـراحْ ؟!

تُـرَى من أنـا وسْـطَ هذا الخِـضَـمِّ
وهذا العُـبابْ ؟!
وقد أطبقَ الصَّـمْـتُ فوقَ فمـى
وفوقَ الكلام الـمُـباحْ
فما عـدتُ أعرفُ أينَ أنـا وماذا أكون
وما قيمتى

وكيفَ رضـيتُ بأن أتَـقَـلَّـدَ هذا الوِشاحْ
فسلَّـمْتُ كلَّ المقاليدِ .. كلَّ المقاديرِ للوهمِ
والزَّيْـفِ

حتَّى تحـوَّلـتُ فى لحظة دونَ حَـوْلٍ
إلى صحراءَ وأرضٍ يبـاَبْ !

*****

أنا .. مَـن أنـا ؟!
أنا لم أعُـدْ ذلكَ العبقرىَّ الذى بالبنانِ
إليه يُشـارْ
فقد غابت الشَّمسُ وانْكَسَرَتْ
كبرياءُ النَّـهارْ
وأصبحتُ أخجلُ من هامتى
ومن قامتى
ومن قِصَصِ الأمسِ والذكـرياتِ التى

أصبحتْ
كالمتاحف فى كلِّ عيد تُزارْ
وصارتْ مُحنَّطَةً بالتوابيتِ كالموتِ
أو كالشَّواهد فوقَ القُبورْ
تدور عليها الدُّهورْ
ولمَّا تزلْ
تُضاءُ الشُّموعُ بساحاتِها
وتُرَشُّ الزُّهورْ
وما زلتُ وحدى أُقاومُ هذا الحِصارْ
وأشعُرُ فى غُرْبتى بانكسارْ
وقَيْد الأسيرْ
أُعَلِّلُ نفسى بأنَّ غدًا سوفَ يأتى
ويُعلنُ عن مَوت كلِّ فُصول الشِّتاءْ
وعن عَوْدَةِ الرُّوحِ فى جَسَدِ الكبرياءْ

ليُسدَلَ فوقَ رياحِ التَّمـزُّقِ
ألـفُ سِـتارْ !

*****

أنا من أنا ؟!
راحـلٌ فى الزمانِ الـمُسافـرِ خلفَ الحُـدودْ
بغيرِ حـدودْ
وأحـلُـمُ بالعشقِ والعِـتْقِ والطَّـيْـرِ
والإنطلاقِ البعيدْ
ولكننى منذُ أدركـتُ
والطَّوقُ فى عُـنقى والسَّلاسِـلُ فى قدمِـى
والقـيودْ !

أقَاومُ لكننى تحتَ وطأةِ هذا الزّمانِ
العنيدْ
إلى نقطة البَدء سَرعانَ ما قد أعودْ
وقد كنتُ أحمَلُ فى أضْلُعى قلبَ طفلٍ
يئنْ
ويصرُخُ فى وجه هذا الزّمَنْ
ويركُضُ
كَىْ يتعدّىْ الجُسورَ وكَىْ يَتَخطّىْ السُّدودْ
وكى يهزمَ المستحيلَ وينقضّ
فوقَ المحَنْ
وفوقَ الزّمانِ اللّدُودْ
وكنتُ أُغَازِلُ فى كلِّ باقَةِ شِعْرِ
وكلِّ القصائد
وجهَ الحبيبةِ ... كلَّ مفاتِنِها السَّاحرةْ

وكلُّ ملامحـها الآسِـرَةْ
وهذى العـيونُ التى صَـوَّرَتْ ريشتى
وهذا الـوَسَـنْ
وهذا القوامُ الـرَّشِـيقُ
وهذى الـفِـتَـنْ
وهذى الحَبيبةُ في خاطرى لـم تَـكُـنْ
سوى حفنة من تُـرابٍ
بـأرضِ الـوَطَـنْ !!

ديسمبر ١٩٩٣م







تونسيه

تونسيّةْ
عندما قلتُ لهم مَنْ تِـلكَ .. مِنْ أيِّ بلاد
الشرقِ ؟
قالوا ... تونسيّةْ
بالقوام الواثقِ الممشوقِ
والإطلالة الشمّاءِ
والنفسِ الأبيّـةْ
والجمالِ اللانهائى
والحضورِ الـمُـبهرِ اللمّـاحِ
فى شكلٍ .. وفى لونِ الأداءِ
وموسيقى الكلماتِ الراقصاتِ العبقريّـةْ

جذبتني

من يدى ؟! لا من أحاسيسى .. وقلبى

وتهاويمى .. وأفكارى .. وأحـلامى

ووجدى .. وعـنائى

وتسامتْ بـى وأسـرَتْ

من سماء .. لسماء

وهْى تنسَاب كشلالَ .. وماء

بلسانٍ يعزفُ الفُصْحَى نشيدًا

وتسابيحَ عِـذابًا

سـرمديـهْ

ويذيبُ الروحَ إمَّـا يتَهَـجَّى

لغـةَ الضـاد ويشـدو

بالحروفِ الأَبجديّـهْ

سافرتْ بين عـروقى ودمـائى
هَدْهَدَتْنِى
وتمـادتْ فى شرايينى .. مزيجًا
من جَـلال الكـبرياءِ
ودلال النَرْجسيَّـهْ
عَلَّمَتْنِى أنا والليلَ وكلَّ الشعراءِ
كيفَ تَخْضَـلُّ القوافى فى حقولِ الشعرِ
أزهارًا
وأفكارًا شَـجِيَّـهْ
أَوْثَـقَـتْـنى بحبـالٍ
من وصـالْ
ودَعـتـنـى لاحتفـالٍ
في ليالٍ

ساحـراتٍ
ساهراتٍ
في رِحـاَبِ الشَّرقِ والـفُصحـى
وسـحْـرِ العَـرَبِـيّـهْ
أَوْقَعَتَـنى فى شباك مستبدات
وصادتْـنى بلحظَـيْهّا كَسِـرْبٍّ من ظبـاءِ
دونَ أنْ تدرى بـدائـى
ودوائـى

حينما تقرأُ فصلاً من كتابِ العشقِ
أو تـروى حـكايـا
من أساطيرِ الغرامِ الأَوَّلـيّـهْ
يسِـبرُ الدفـءُ حنايـاىَ وإنْ كنَّـا على بابِ

الشِّـتاء
وأعانى سكرةَ المـوت من الدهشةِ .. أبدو
كشهيد قدْ قَضَىٰ في كَـرْبلاء
دونَ ذنبٍ غيرَ أنى أعْزَلٌ ، مُسْتَضْعَفٌ لا
حـولَ لـيَ
وهي بالحسنِ قـويّـهْ !
عـذَّبتْـنى
عندما هـمَّـت .. ومالتْ
ثُـمَّ قالتْ
عِـمْـتُـمُ الآنَ مساءً
ووداعًا أيُّـهاالسادةُ
شوقًا للّقاء
ليلةً عَـذباءَ
أحلامًا شَـهِيَّـهْ

ومُحيّاها البريءُ الغَضُّ يَنْدَىٰ
بالسَّجايا المَرْيَمِيَّهْ
وعلى أكتافِها الشمسُ تهادتْ
وتراختْ
في خيوطٍ
ذهبيّهْ
مخمليّهْ
أغرقتْني في بحورٍ من ضياء
وهْي ما زالتْ تغُضُّ الطَّرْفَ خَجْلَىٰ
وعلىٰ وَجْناتِها لونُ الحَياءِ
رغمَ أنفِ الخُيَلاء
وأنا ما زلتُ مشدوهًا
ومشدودًا

إلى لَهْجَتـها الملساء أستغنى بها عن
لُـغـةِ الدُّنـيا وصَـوتِ البَشَريّـهْ

******

تونسيّـهْ
من بلاد تكتسى بالحُسنِ والأزهارِ
والأشجّارِ .. والزيتونِ
والأرضِ الخَـصيـبهْ
خَـلَّـدَتْ ذكرى أبوللو بترانيمِ فـتًى عَذْبِ
سَـرَتْ أنفاسُهُ الفيحاءُ كالنسمـةِ فى
الصيف
رطيبَـهْ
وتَـغـنَّى بالحياهْ
بينَ أحضان الروابى والجبالِ الخُـضْـرِ قد
أفْنَى صِـباهْ

وهـو يحكي للرعـاهْ
كيف تبدو مُـفـرَداتُ الكـوْنِ أحْلَىٰ
وهـو في ظلِّ الحبيبَـهْ
والوجودُ الذاهلُ الوسنانُ يصحو ..
يَتَمَطَّىٰ
وهو في شَوق إلى رجْـعِ صَـداهْ
أنـت ظلٌّ منه لا شكَّ ومن أحلامِه الساخرةِ
الحَـيْرَىٰ قريبَـهْ
وبقايا من شذاهْ
وأنا لم أُدرك الحُـبَّ ولكنِّـي تَـذوَّقتُ لهيبَـهْ
وتجرَّعْـتُ لَـظاهْ
كلَّما امتدَّتْ إلى كَـفِّـي يـداهْ
وتعانقْـنا
وقد ذابتْ شِـفاهٌ في شِـفاهْ

فجأةً نصحو على صوتِ حكايا وأحاديثَ
رتيبَـهْ
أنت مثـلى وأنا مثـلُـك فى الدُّنـيا تـياهْ
جمعَتْـنا لغـةُ الضَّاد وأحلامُ صبىٍّ وفتاهْ
أنا فى الشَّرْق أعانى ما أعانى .. شاعرًا
زلَّـتْ خُـطاهَ
بينما أنت تَشُـدِّينَ على كَـفٍّ تماثيلَ من
الشَّـمعِ قُساهْ
وتَـظَـلِّينَ كمـثْـلِ الحُـبِّ فى عالمنا من غيرِ
أتباعٍ غريبَـهْ
آه لو كُـنَّـا معًا نَمضى إلى أىِّ اتِّجاهْ
دونَ أغلال .. كأطفال
نَشُـقُّ الأُفْـقَ
نَسْعَىْ فى مَـداهْ

ثُــمَّ نُـلقى خَـلْفَـنا الوهمَ ونَستـلقى على
أضغاثَ أحلامٍ
رحيبَـهْ
آه لـو كُـنَّـا .. ولـو كُـنَّـا .. ولـو كُـنَّـا..
ولَكـنْ
ما الذى يَـبقى لـنـا من قَولِ آه ؟!
ما الذى يَـبقى لـنـا من قَولِ آه ؟!

يناير ١٩٩٤م

الشاعر فى سطور

- عضو اتحاد كتاب مصر .
- عضو اتحاد الكتاب العرب.
- تخرج فى كلية التجارة ، جامعة عين شمس ١٩٧٤م .
- تخرج فى كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، جامعة عين شمس ١٩٨٥م .
- يعمل عضواً فنيّاً بالجهاز المركزى للمحاسبات .
- حصل على عدة جوائز فى الشعر ، أهمها جائزة المركز الأول فى الشعر على مستوى الجمهورية ، والتى نظمها المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٨٢م.
- شارك فى العديد من المهرجانات الشعرية فى مصر وخارجها .



●● صدر للشاعر:

١ – **ولكنى أحبك** : ديوان شعر ، القاهرة ١٩٨٠م .

٢ – **مملكة الحب** : ديوان شعر ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٢م .

٣ – **أشواق وأشواك** : ديوان شعر ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٥م .

٤ – **والحب كان الثمن** : ديوان شعر ، المكتب المصرى الحديث ، القاهرة ١٩٩١م .

٥ – **أوراق من حقيبة الشعر** :(تحت الطبع).

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

● عنوان الشاعر للمراسلة:

(١) مصر: القاهرة ـ مصر الجديدة ـ (١٠٧) شارع هارون الرشيد ـ شقة (٣). ت (٢٤٣٣٥٣٢)./ ٠١٢٣١٨٠١٣٩



الفهرست

